المحاضرة الثالثة

نزول القرآن الكريم

يعتبر هذا المبحث من أهم مباحث علوم القرآن، لأن العلم به أساس للإيمان بالقرآن الكريم، وأنه كلام الله تعالى، وأساس للتصديق بنبوة سيدنا محمد ﷺ، كما يعتبر أصلا لسائر مباحث علوم القرآن.

أولا – معنى نزول القرآن.

النزول في اللغة هو الإيواء إلى مكان والحلول فيه، أو هو الانحطاط من علو[1]، وقد وردت مادة (ن ز ل) في القرآن الكريم على صيغتين؛ **إحداهما**: التنزيل، ومنه الفعل "نَزّل"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ السجدة: ٢، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ البقرة: ١٧٦ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، وشبه ذلك.

والصيغة الأخرى هي الإنزال، ومنه الفعل "أنزل"، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ آل عمران: ٧، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ البقرة: ٩٩، وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٥، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر: ١، وشبه ذلك[2].

(1) المفردات للأصفهاني، ص: 509.

(2) مناهل العرفان، ج: 01، ص: 41.

وهناك فرق بين الصيغتين؛ أما صيغة التنزيل فتفيد تنزيله مفرقا بحسب الوقائع والأحداث على قلب رسول الله ﷺ، وأما صيغة الإنزال فتفيد إنزاله جملة واحدة[3].

وقد اختلف العلماء في كيفية نزول القرآن الكريم، وتلقي جبريل عليه السلام له، فهل تلقفه عن الله تلقفا روحانيا، أم أنه كان يأخذه من اللوح المحفوظ، ثم ينزل به إلى رسول الله ﷺ ؟

إن الناظر في النصوص الشرعية يجد أن جبريل عليه السلام قد تلقى القرآن الكريم من الله تعالى وسمعه منه، فعن النّواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد أن يوحي بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم بالوحي أخذت السَّماوات منه رجفة –أو قال: رعدة– شديدة؛ خوفًا من الله، فإذا سمع ذلك أهلُ السَّماوات صعقوا وخرُّوا لله سُجَّدًا، فيكون أول مَن يرفع رأسه جبريل، فيُكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة، كلما مرَّ بسماءٍ سأله ملائكتُها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ، فيقولون كلهم مثلما قال جبريل، فينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله"[4].

يستفاد من هذا الحديث أن الله عز وجل تكلم بالقرآن الكريم، وأن جبريل عليه السلام قد سمعه منه، وهذا لا يتنافى مع كون القرآن الكريم مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل نزوله، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ٢١ – ٢٢، وقال أيضا: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الواقعة: ٧٧ – ٨٠، فجبريل عليه السلام قد تلقاه من لدن ربّ العزة، سواء أكان الله قد كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يرسل جبريل عليه السلام أم بعد ذلك.

---

(3) المفردات للأصفهاني، ص: 510.

(4) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي، ج: 07، ص: 94، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ / 2001م.

كما لا يتنافى مع ما روي عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما– في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ القدر: ١، أن الله أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزله بواسطة جبريل عليه السلام بعد ذلك مفرقا بحسب الوقائع والأحداث، فلا مانع أن يكون قد أنزله مكتوبا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر[5].

ثانيا – تنزلات القرآن الكريم.

وردت في القرآن الكريم ثلاث آيات تبين وقت نزول القرآن الكريم، **أما الأولى** فقوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ البقرة: ١٨٥، **وأما الثانية** فقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ الدخان: ٣، **وأما الثالثة** فقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ القدر: ١، ولا تعارض بين هذه الآيات الثلاث، بل أفادت أن القرآن الكريم أنزل في ليلة مباركة، وهي ليلة القدر، وأن هذه الليلة هي إحدى ليالي شهر رمضان المعظم.

وهنا إشكال: إذا كانت هذه الآيات تثبت نزول القرآن الكريم في شهر رمضان فكيف نوجّه النصوص الحديثية التي تثبت أن القرآن الكريم نزل في غير شهر رمضان؟

(5) مباحث في علوم القرآن للدكتور محمد دراجي، ص: 45-46.

الجـواب: أنـزل فـي ليلـة القـدر مـن شـهر رمضـان جملـة واحـدة إلـى السـماء الـدنيا، ثـم أنـزل بعـد ذلـك علـى رسـول اللـه ﷺ مفرّقـا بحسـب الوقـائع والأحـداث التـي جـرت في رمضان وغير رمضان، أو نزل ابتداء دون سبب، في رمضان وفي غير رمضان.

وقـد سـأل عطيـةُ بـن الأسـود عبـدَ اللـه ابـن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا فقـال: وقـع فـي قلبـي الشـك مـن قولـه تعـالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾، وقولـه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾، وقـد أنـزل فـي شـوال، وفـي ذي القعـدة، وفـي ذي الحجـة، وفـي المحـرم، وشـهر ربيـع، فقـال ابـن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا: "إنـه أنـزل فـي رمضـان فـي ليلـة القـدر، وفـي ليلـة مباركـة جملـة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلا في الشهور والأيام"(6).

وبناء على ما سبق فإن للقرآن الكريم ثلاث تنزلات، وهي كالآتي:

التنـزّل الأول: نزولـه إلـى اللـوح المحفـوظ، قـال تعـالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ٢١ – ٢٢، وكان ذلك جملة واحدة.

التنـزّل الثـاني: نزولـه إلـى بيـت العـزة فـي السـماء الـدنيا جملـة واحـدة، كمـا أفـاد حـديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق.

التنـزّل الثالـث: نزولـه علـى قلـب رسـول اللـه ﷺ مفرّقـا بحسـب الوقـائع والأحـداث كمـا أفـاد حـديث ابـن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا السـابق أيضـا، وكـان ذلـك خـلال ثـلاث وعشرين سنة.

---

(6) انظـر: تفسـير القـرآن العظـيم، لأبـي الفـداء إسـماعيل بـن عمـر ابـن كثيـر الدمشـقي، تحقيـق: سـامي بـن محمـد السـلامة، ج: 01، ص: 501، دار طيبـة للنشـر والتوزيـع، الريـاض– المملكـة العربيـة السـعودية، الطبعـة الثانيـة 1420هـ / 1999م.

وقد ذكر العلماء إلى جانب هذا الرأي، رأيين آخرين:

الأول: أن للقرآن الكريم نزولا واحدا، وهو نزوله مفرقا حسب الوقائع والأحداث قال به الإمام الشعبي ومن تبعه، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ الإسراء: ١٠٦، وقالوا: إن المراد بالنزول في ليلة القدر هو ابتداء نزوله، لأن الفعل يطلق على ابتداء الفعل، ولأن الأمور العظيمة يؤرخ لها ببداياتها.

الثاني: أن القرآن الكريم كان ينزل مفرقا، ينزل منه في كل ليلة قدر إلى السماء الدنيا ما يكتب الله إنزاله على رسول الله ﷺ في تلك السنة، وذلك خلال فترة البعثة أي: في ثلاث وعشرين سنة، وقد ذكر هذا القول الإمام الرازي، ونسبه إلى بعض المفسرين، ولا يوجد أي نص يعضده.

ولذلك فإن القول الراجح هو قول عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الذي ذهب إليه جمهور العلماء[7].

(7) انظر: **مناهل العرفان** للزرقاني، ج: 01، ص: 43-47، **ومباحث في علوم القرآن** للدكتور محمد دراجي، ص: 47-48.